التفسير البيبلي الأنطاكي: مبادئه، أربابه، وأثره

أ. أيّوب شهوان

١ – مقدمة

تمثل مدرسة أنطاكيا نوعاً من «ردة الفعل» على طريقة أوريجانوس الاسكندري من حيث التوجّه في تفسير الكتاب المقدس. لكن التعارض بين مدرَستي أنطاكيا والاسكندريّة هو أقلّ ممّا يُظَنّ عادة؛ فالمسألة تدور جُملةً حول التشديد أكثر أو أقل على توجّه كل منهما. في كل الأحوال، لقد أثرت الاثنتان تأثيراً كبيراً على آباء الكنيسة، وعلى القرون الوسطى لاحقاً. ان المسألة البارزة بالنسبة الى مدرسة أنطاكيا هي مشكلة النبوءة، أي معنى العهد القديم. انطلاقاً من هذه المعضلة، طُرح السؤال التالي : كيف التوفيق بين نصوص نموذجيّة من العهد القديم لا تتضمن أي مدلول كريستولوجي، وبين تفسير مسيحاني لذات النصوص؟

٢ – مدرسة أنطاكيا تقاوم ألّيغورية الإسكندرية[١]

واجهت المنهجيّةُ الأليغوريّةُ التفسيريّةُ للكتاب المقدس مقاومةً شديدة في الكنيسة؛ هكذا مثلاً رذلها مَرقيون * البنطي وغيره. وملفتٌ للنظر أنّه، مع اطلالة القرن الثالث، وضع أسقفٌ مصري، يُدعَى نِيبُوس (Nepos)، مؤلَّفاً تحت عنوان : **دحض الأليغوريين**. كذلك انثنى عنها تَحْتَ تأثيرِ معلّميه اليهود القديس ايرونيموس شيئاً فشيئًا، ليمحض احترامًا مُتناميًا للمعنى الحرفي للكتاب المقدس[٢]. ويبدو جيداً أنه في أي مكان تأثرت فيه الكنيسة بالمجمع اليهودي (synagogue)، ارتسم تيارٌ ذاتُ تَوَجُّه حرفيٍّ في تفسير الكتاب المقدس.

هذا ما حصل في أنطاكيا؛ فلقد كانت الجماعة اليهوديّة قد أثّرت فيها طوال قرون، والى حد كبير. أول عمل تفسيري صادر عن هذه المدرسة ومتوفر بين أيدينا، هو تفسير تايوفيلوس الأنطاكي **لسفر التكوين**، وهو يستوحي في ذلك المعلّمين اليهود.

في القرن الثالث كان يُقال ان تشدد بولس الشاموشاطي (Samosate) في مسألة وحدانية الله نابع من توافقه مع التيار اليهودي. ان نص العهد القديم اليوناني الأنطاكي الذي يُنسب غالباً الى لوقيانوس، هو على الأرجح ذاتُه الذي استعمله قبله يوسيفوس، والذي يبدو أنّ استعماله كان شائعاً بين اليهود. نرى لاحقاً دُورُتيه، رئيسَ مدرسة التعليم الديني في أنطاكيا، يتلقّن العبريّة، وتيودوريتوس القورشي تلميذ تيودوروس المبسوسطي ينتقد معلّمه، متّهماً اياه بأنه يهودي أكثر منه مسيحي[٣]. بالطبعُ كل هؤلاء المفسّرين ينبذون المنهجيّة الأليغوريّة.

يقول أوسابيوس، مؤرّخ الكنيسة، ان دُورُتيه كان يفسّر الكتب المقدسة «باعتدال»، أي من دون اللجوء الى الأليغوريّة. وكتب أوسطاطيوس، أسقف أنطاكيا، بحثاً ضد أوريجانوس، يلومه فيه على حرفيّته أحيانًا، وعلى مَيله الى الأليغوريّة بشكل عام.

هناك ممثّل آخر لهذه المدرسة، هو ديودوروس الطرسوسي، الذي وضع مؤلَّفاً تحت عنوان : **ما الفرق بين التيوريّا**

---

* G. Bardy, art. "Marcion", *SDB* V (1957); J. Knox, *Marcion and the NT* (Chicago, 1942).

١– Robert M. Grant, *L'interptrétation de la Bible, des origines chrétiennes à nos jours* (Seuil: Paris 1967) 76-86.

٢– A. Vaccari, "I fattori della esegesi geronimiana", *Biblica* I (1920) 457ss.

٣– C. H. Kraeling, "The Jewish Community of Antioch", *JBC* 51 (1932) 130ss.

والألّيغوريّا»؟، يؤكّد فيه أن المعنى الحقيقي للنص هو كما يفهمه الأنطاكيون.

أخيراً، كتب المبسوطي بالذات بحثاً تحت عنوان : **حول الأليغوريّا والتيوريّا ضد أوريجانوس**[٥].

كانت هناك اذاً فروقات عميقة تفصل بين مدرستي أنطاكيا والاسكندريّة، وكان الأنطاكيون يدافعون بقوّة عن وجهة نظرهم. بالطبع كان الاسكندريون يستندون على أن بولس يستعمل الألّيغوريّا في غل ٤. لكن الأنطاكيين، من جهتهم، كانوا يفسّرون ذلك بالقول: ان بولس، باستعماله كلمة «ألّيغوريّا»، لا يُتبع في الحقيقة المنهجيّة الألّيغوريّة. ويضيفون : ان هناك فرقاً كبيراً بين ما يريد بولس الرسول بالفعل أن يقوله، وبين ما يريد الاسكندريون أن يقولوه. يؤمن بولس بحقيقة الأحداث التي يصف والتي يستعمل على سبيل المثال. على العكس من ذلك، يحرّر الاسكندريون التاريخ من كل واقعيّته : هكذا مثلاً لم يكن آدم حقاً آدم، ولا الفردوس فردوساً حقيقياً، ولا الحية حيّة حقيقيّة. هذا ما دفع تيودوروس الى التساؤل التالي : اذا كان الأمر هكذا، ولأنه لم يحصل شيءٌ في الحقيقة، ولأن آدم لم يَعْص فعلاً، فكيف اذاً دخل الموت الى العالم، وما هو معنى خلاصنا؟ يجب أن يكون الرسول اذاً قد آمن بحقيقة الأحداث التي يُصف، لأنه، في الرسالة الى الرومانيين (٥:١٨ي)، يستشهد بعصيان آدم، وفي ٢كو ١١:٣ يستشهد باغواء الحيّة لحواء.

٣- «التيوريّا» (théoria) وخصائصها

يدعو الأنطاكيون الجواب الذي أعطته مدرستهم «تيوريّا» (théoria)، أي طريقة تفسيرهم لنبوءات العهد القديم. من الصعب تحديد هذه «التيوريّا»؛ فاذا ما تكلمنا عليها بشكل عام، تعني نظريّة «التيوريّا»، التأمل، الرؤيا. في اطار بيبلي، في أنطاكيا، يأخذ المصطلح معنىً تقنياً، على علاقة مع الرؤيا النبويّة لدى الكاتب الملهم. في الواقع، لا يعطي الانطاكيون ذاتهم تحديداً موحّداً، وحتى اليوم تبقى الآراء حول «التيوريّا» غير واضحة. في ما يلي بعض خصائص «التيوريا» :

أ- يرى النبي مسبقاً حدثاً تاريخياً محدّداً سيحصل في اسرائيل : هذا هو المعنى الحرفي.

ب- مع هذا، يدرك النبي أن هذا الأمر التاريخي ليس هدفاً بحد ذاته، بل هو كصورة لواقع «مسيحاني» لاحق، وكخطوط عريضة للواقع الكامل. هذا المعنى الثاني أيضاً يراه النبي مسبقاً، وهو بالتالي معنى حرفيّ.

ج- يعلم النبي أن الحدث الأول يقدم لثان : هذا الأخير يكشفه الروح القدس. مثلاً، كان أشعيا يعلم أنه ستكون هناك مرحلتان لتتميم نبوءة العمانوئيل (رج اش ٧) : واحدة تاريخيّة، وأخرى مسيحانيّة.

د- المعنى المسيحاني ليس فقط معنى ألّيغوريّا؛ هو أيضاً حرفي، ولا يتعارض في الواقع مع المعنى الحرفي، بل مع المعنى التاريخي؛ هو ليس ألّيغوريّا، ولا تأويلاً (أي باطني)، ولا «تيبولوجيّا» (typologie، أي نموذجيّ). هو فقط تنبّؤ ذو مرحلتين من حيث تحقيقه، واحد قريب، والآخر مستقبلي بعيد.

هـ- **ما العلاقة بين الحدثين الأول والثاني؟**

بالنسبة الى تيودوروس المبسوطي، الاول هو «نموذج» (τυπος) الثاني. لدينا اذاً، في البداية نبوءة بالكلمة، ثم حدث تاريخي، وفي ذات الوقت نموذجي، ونصل أخيراً – المرحلة الثالثة – الى التتميم الكامل.

هل يخلط الانطاكيون بين «النموذج» و«النبوءة»؟ ينكر تيودوروس هذا الأمر : تبشّر النبوءة بحدث مستقبلي بالكلمات، امّا في معناها الخاص، وامّا في معناها أنجازي، بينما في النموذج يُعلَن عن الحدث بواسطة الكلمات من أجل الواقع أو الأشخاص المعنيّين. هو يجمع بين النموذج والألّيغوريّا. يميّز الذهبي الفم بين نموذجين من النبوءات : واحدة بالكلمات، وأخرى بالوقائع.

و- اضافة الى ذلك، يؤكد الذهبي الفم أن أقوال الكتاب المقدس تُدرَج في فئات ثلاث :

١- ينبغي تفسير بعضها فقط بالمعنى الحرفي (تك ١)؛

٢- والبعض الآخر بالمعنى الأعمق «للتيوريّا» (مسيحانيّة، روحيّة، وحرفيّة)؛

٣- والبعض، أخيراً، بالمعنى الألّيغوري: لدينا هنا الاستعارة (métaphore)

يجري التشديد على المعنى الألّيغوري، لأن التفسير البيبلي العبري المعاصر كان ذا توجّه حرفي كبير، وبالتالي كانت هناك رغبة في التميّز عن مغالاة كهذه.

ز- يقول الذهبي الفم بأنه، من أجل تفسير الألّيغوريّا، ينبغي تفسير الكتاب المقدس بالكتاب المقدس فقط، والا أضحى

٤- Diodore de Tarse, *Quelle est la difference entre la théorie et l'allégorie ?*

٥- Théodore de Mapsueste, *Concernant l'allégorie et la théorie contre Origène.*

المفسّر ضحيّة تخيّلاته الخاصّة. لدينا هنا خطة واضحة تجاه أوريجانوس. يؤخَذ النص بحد ذاته، في إطاره، وبمجمله.

ح – لذا يقول البعض ان «التيوريّا» في النهاية هي «المعنى التام» (sensus plenior)، معنى ليس بالضرورة مفهوماً من قِبَل الكاتب، بل موحًى من الروح القدس. لكن اذا ما فكرنا بالعمق نتبيّن أنه، استناداً الى «التيوريّا» فَهِمَ الكاتب المعنَيين، أما في حالة «المعنى التامّ» لا يفهم الكاتب هذا المعنى الأخير والتام الذي وحده الروح يستطيع أن يراه مسبقاً (prévoir) ويتلقاه.

بالتالي، هل انّ مبدأ «التيوريا» هو مقبول في أيامنا؟

انه صالح في الحالة التي فيها يرى العهد الجديد أنّ نصًّا ما موحًى هو مسيحاني. يستعمل تيودوروس المبسوسطي مقياس العهد الجديد فقط بطريقة سلبيّة، أي أنه لا يرى المعنى المسيحاني الا اذا كان مُستَشْهداً به في العهد الجديد، ولكنه لا يرى بالضرورة هذا المعنى في كل نصوص العهد الجديد.

بالتأكيد يبقى هذا الطرح دائماً على مستوى نظري، ويصعب جداً تطبيقه.

ط) تبدو اكثر دقّة نظريّة «التفسير من جديد» (réinterprétation) للعهد القديم ضمن العهد القديم. ما معنى «التفسير من جديد»؟ تُطلق نبوءةٌ ما في ظرف تاريخي معيّن، ولأن هناك الافتراض أن كلمة الله «تدوم الى الأبد»، يمكن الأجيال المتلاحقة أن تستعيد النبوءة الأولى وتطبقها على أزمنتها، على سبيل التماثل (par analogie). يمكن، مثلاً، نبوءة يطلقها أشعيا، ضد اسرائيل أن تستعاد من قِبَل أشعيا الثاني ضد بابل، ومرة ثالثة بعد المنفى ضد أعداء اسرائيل الاسكاتولوجيين، ورابعة في سفر الرؤيا ضدّ اعداء المسيح. نحن اذاً أمام حركة لولبيّة. بالتأكيد، «التفسير الجديد» هو أيضاً ثمرة الالهام، لكن يجب أن نلاحظ أنّ هذا الالهام يحلّ على مَن «يفسّر من جديد»، أكثر منه على النبي الأصلي.

٤ – تيودوروس المبسوسطي

المفسّر الاكبر في مدرسة أنطاكيا كان **تيودوروس المبسوسطي**، كما كان أيضاً الأكثر فرادة. ففي مؤلفاته، يميّز بين نبوءات هي أصلاً مسيحانيّة، وبين أخرى هي بالكليّة تاريخيّة. هناك أربعة مزامير تشير فعلاً الى المسيح، هي : مز ٢، ٨، ٤٥، و١١٠. لمزامير أخرى، مثل مز ٢٢، معنى تاريخي أصلاً، ولا يمكن تطبيقها على المسيح الا مجازاً. عندما اعترض أعداء تيودوروس عليه وقالوا بأنه، في السبعينيّة، كان للمزمور ٢٢ عنوان هو «للمنتهى»، وهو تلميح واضح الى المسيح، ردّ عليهم بأن رؤوس العديد من المزامير غير أصليّة[٦]. وكان يؤكد على أن الكثير من نبوءات أخرى في العهد القديم لا علاقة لها بالمسيح.

ولكن ما القول عن الكتب، ان من العهد القديم وان من الجديد، التي لا تحتوي على أي عنصر نبويّ، ان كان مسيحانياً أو تاريخياً؟ انها لا تتضمن سوى الحكمة البشريّة البسيطة، ومن رأي تيودوروس أن تُرْذَل هذه الكتب من قانون الكتاب المقدس، لأنها غير ملهمة من الروح القدس. فسفر أيوب مثلاً قد كتبه بعد المنفى شاعرٌ متأثرٌ بالثقافة اليونانيّة. نحن نعلم أنه كان شاعراً لأنه وضع على فم أيوب، وأصدقائه، وحتى على فم الله، خطباً لا علاقة لها البتّة بالواقع. لكن تيودوروس كان مقتنعاً بأن الأدب الحكمي لا يعكس سوى حكمة محض بشريّة، ولا يمكن ادراجه في قانون الكتاب المقدس الملهم. أما بعض الكتب التاريخيّة، كأسفار الأخبار، وعزرا، ونحميا، فهي تاريخيّة بحتة، وينبغي بالتالي أن تُرذَل هي أيضاً.

يُعطي تيودوروس تحليلاً هاماً لسفر نشيد الأناشيد؛ فهو يدعو الى الملاحظة أننا لا نجد فيه أي ذكر لله، وأنه لا يُقرأ علناً، لا لدى اليهود، ولا لدى المسيحيين. ان الظرف التاريخي الذي أوحى به، هو زواج سليمان من ابنة فرعون. ولدى بلوغ تيودوروس الى هذه النقطة من النقاش، يشدّد على أن المقصود هنا ليس مجرّد نزوة شهوة، بل زواجٌ معقود بهدف الاستقرار السياسي لاسرائيل. اضافة الى ذلك، بما أن ابنة الفرعون هذه كانت سوداء البشرة، وبالتالي قليلة القدر في أعين رجال بلاط سليمان، بنى هذا الأخير لها قصراً، وألّف هذا النشيد لئلا تغضب، ولئلا تنشب عداوة بينه وبين الفرعون[٧].

في ما يتعلّق بالعهد الجديد، اتبع تيودوروس التقليد الشرقي، رافضاً قبول الرسائل الكاثوليكيّة في قانون الكتاب المقدس. كما ينبذ ايضاً رسالة يعقوب، وقد يكون ذلك بسبب استشهادها بأيوب (٥:١١)، ولكن على الأرجح لأنها قريبة من أدب العهد القديم الحكمي. يعكس تفسيره لانجيل يوحنا الاهتمام المعتاد الذي يبدي تجاه عمل الروح القدس. كان تيودوروس يعلم جيداً أنه، استناداً الى سفر

٦– Vosté, *op. cit.*, 542ss; Pirot, *op. cit.*, 235ss ; Devreesse, *op.cit.*, 120ss.

٧– Vosté, *op. cit.*, 394ss.

أع، لم يُعطَ الروح القدس للرسل الا في العنصرة، وأنهم لم يوعَدوا به الأ بعد الأحداث التي يصفها يو ٢٠:٢٢. استنتج تيودوروس من ذلك أن الرسل لم يكونوا أبداً قد اعترفوا بألوهيّة المسيح أيام حياته الأرضيّة، لأنهم لم يكونوا بعد قد قبلوا الروح القدس. لقد قبلوا هذا الايمان يوم العنصرة. لا يعني اللقب «ابن الله» سوى «المسيح»، وحتى بعد قيامة يسوع لا يسبغ عليه الرسل صفة الألوهة. عندما صرخ توما : «ربي والهي» (يو ٢٠:٢٨)، لم يكن ذلك سوى صرخة تسبيح يوجهها الى الله (الآب) للأعجوبة التي رأى[٨].

لقد حَكم مجمع القسطنطينيّة المنعقد سنة ٥٥٣ على المؤلّف التفسيري الذي كان تيودوروس قد وضعه بالتّلف حرقاً. لم يُعتبَر تيودوروس مسؤولاً فقط عن أخطاء تلميذه نسطوريوس الكريستولوجيّة، بل أنه أنكر أيضاً الطابع الملهم لبعض الكتب التي كانت الكنيسة قد اعتبرتها قانونيّة. لكن هذا لم يضع حداً لتأثير مدرسة أنطاكيا، ولا لتأثيره، بل انتشر لاحقاً في الكنيسة.

٥- إيشوعداد على خطى تيودوروس المبسوسطي

يعود الفصل ١٢ من **المقدمة للمزامير** لايشوعداد المَرْوي الى القرن التاسع، لكنه يستند الى حد كبير الى نظرية تيودوروس المبسوسطي التفسيريّة، ويعرض بوضوح اعتراضاته على نظرية أوريجانوس : «هناك تساؤل حول الفرق بين التفسير الأَلّيغوري، وبين التفسير التاريخي. نجيب على ذلك بالقول : ان الفرق كبير وليس صغيراً، الى حد أن الأول يؤدي الى عدم التقوى، والتجديف، والكذب؛ في حين أن الآخر هو على توافق مع الحقيقة والايمان. هو أوريجانوس الاسكندري الكافر مَن اخترع فنّ الأَلّيغوريّة هذا. فلأنه انغمس في تآليف الشعراء والأفلاطونيين، كان يعتقد أن الكتاب المقدس أيضاً يجب أن يُفسَّر على مثال خرافاتهم... بذات الطريقة، كان هذا الجاهل أوريجانوس الذي فسّر كلام المزامير والأنبياء على الأَسْر وعلى عودة الشعب بأنه أَسْرُ النفس بعيداً عن الحقيقة وعن العودة الى الايمان... فَهُمْ لا يفسّرون الفردوس كما هو، ولا آدم وحواء، ولا شيء من الأشياء الموجودة»[٩].

بعد شرح ايشوعداد لطبيعة تفسير أوريجانوس، يرى أنه من الواجب أن يدضحها : «أقدّم مثلاً يكفي ليبيّن طبيعة الآخرين. عندما يكتب الرسول : «هذه الصخرة كانت المسيح»، يبيّن بوضوح، كما يقولون، أنه، اذ يبدو أنه صخر، مع هذا وفي الحقيقة، هذه الصخرة كانت المسيح العامل سرّاً لأجل خلاص مَن هم على مثاله. أيضاً في ما يتعلّق بملكيصادق، يدّعون أنه كان ابن الله، لأنه، استناداً الى رأيهم، لم يظهر مُخلّصنا مرّة واحدة في هذا العالم، بل عدّة مرّات؛ فلقد كشف ذاته لمختلف العصور وَفقَ مقياسها الخاص، وكان مع الجميع. كان عليه أن يأتي حتى لأجل الحجارة الجامدة، لكي ينجّي الذين كانوا مأسورين فيها.

لم يتبيّن الجهلة إذاً أن الرسل، عندما استشهدوا بأقوال من العهد القديم، لم يفعلوا ذلك بطريقة واحدة، ولكن أحياناً ليبيّنوا أنها تحققت، وأحياناً أخرى على سبيل المثال بهدف حثّ المستمعين واصلاحهم، أو أيضاً من أجل تثبيت عقيدة الايمان، بالرغم من أنه، حسب الظروف التاريخيّة، كان قد تمّ التفوّه بهذه الأقوال لأهداف أخرى.

عندما يطبّق ربّنا اذاً على نفسه المزمورين ٨ و١١٠، وعندما أيضاً يطبق بطرس في أعمال الرسل، وبولس في رسائله، هذين المزمورين بالذات على ربّنا، كما أيضاً المزمورَين ٢ و٤٥، فهم يأخذونها بمعناها الحقيقي.

ولكن عندما يقول ربنا من على الصليب: «الهي، الهي، لماذا تركتني؟» (مت ٢٧:٤٦، رج مز ٢٢)، فان هذه الكلمات تُقال بالمقارنة وفقَ تشابه الأحداث، بالرغم من أنّ تطبيقها ، وفي مواقعها الخاصة، هو مختلف. فالفرق الموجود بين هذه الأشياء، يظهره بوضوح اطار النص نفسه لأولئك الذين يريدون أن يعرفوا الحقيقة»[١٠].

اذاً، عندما يستشهد بولس بالكتاب المقدس، فانه يفعل ذلك على سبيل المقارنة، وهذا استعمال معتاد في العهد الجديد. مثلاً، رفع موسى الحيّة في الصحراء : يطبّق يسوع على ذاته هذه الصورة (يو ٣:١٤). اذا كان يسوع بالذات الحيّة، فكيف استطاع أن يقارن نفسه بها؟ «عندما يقول بولس ان هذه الأشياء كلّها حصلت صورةً (١ كو ١٠:١١)، فهو لا يؤكد أنّ الذين حصلت لهم هذه الأشياء، والذين

٨- Vosté, *op. cit.*, 388ss.

٩- J. M. Vosté, "L'œuvre exégétique de Théodore de Mopsueste au 2e Concile de Constantinople", *RB* 38 (1929) 544ss.

١٠- R. Devreesse, *Le commentaire de Théodore de Mopsueste sur les Psaumes* (Rome, 1939) XXIX.

يُسمَّون بالاسم لم يستفيدوا منها شيئاً، وأن كل هذه حصلت بسببنا[١١].

لقد شدّدت مدرسة أنطاكيا على حقيقة الوحي البيبلي التاريخيّة. ففي حين أن الاسكندريين يستعملون كلمة «تيوريّا» كمرادف للتفسير الأليغوري، استعملها مفسّرو أنطاكيا للدلالة على معنًى للكتاب المقدس أسمى وأعمق من المعنى الحرفي أو التاريخي، ولكنّه معنى مبنيّ بمتانة على الحرف[١٢]. لا تنكر هذه الطريقة المعنى الحرفي للكتاب المقدس، بل ترتكز عليه كارتكاز الصورة على الشيء الذي تمثّله، وتبرزه أمام أعيننا. الصورة وما تمثّله هما أيضاً حقيقيان. يلاحظ الذهبي الفم أن «الكتاب المقدس يحترم دائماً هذه الشريعة: عندما يُدخِل الأليغوريا، فهو يقدّم أيضاً شرحا»[١٣].

يظهر معنى كلمة «تيوريّا» بالتأكيد الأوضح في الطريقة التي وَفْقَهَا يفهم الأنطاكيون الأنبياء. استنادا الى الاسكندريين، عندما نفهم نبوءات العهد القديم أنها تشير الى مجيء المسيح، فاننا نضيف شيئاً الى مضمون النص الأصلي، وهذا هنا تفسير أليغوري. ينبذ الانطاكيون هذه الفكرة؛ فبنظرهم، سبق الانبياء وأنبأوا في آن معاً بأحداث المستقبل المباشر لتاريخ اسرائيل القديم، وبمجيء المسيح النهائي. فتنبّؤهم كان اذاً في ذات الوقت تاريخياً ومركزاً على المسيح؛ هو يتضمن معنى مزدوجاً، الأول تاريخياً، والآخر مسيحانياً. وهذا المعنى المزدوج ليس مفروضاً من فوق على المعنى الحرفي الأصيل، كما يعتقد الأليغوريون[١٤].

٦ – يوحنا فم الذهب

واصل يوحنا فم الذهب، رئيس أساقفة القسطنطينيّة، وتلميذ ديودوروس الطرسوسي، كما تيودوروس، استعمال منهجيّة معلمه الحرفيّة في عظاته وشروحه. ومن دون أن ينبذ بطريقة صارمة استعمال الأليغوريا، كان يلتزم عادة بالتّيبولوجيا (typologie). هو يذهب الى حد انتقاد الطريقة التي يتكلم فيها بولس في رسالته الى أهل غلاطيا (٤:٢٤) فيقول: هنا «يذهب بولس بعيداً بتسمية النموذج (type) أليغوريًّا». ما يريد قوله هو التالي: هذه القصة (أي قصة ساره وهاجر) لا تعني فقط ما يبدو أن الكلمات تقوله، بل توحي أيضاً بحقائق أخرى؛ بهذا المعنى تُسمّى «أليغوريّا». ولكن بماذا توحي؟ ليس سوى الحقائق التي نرى (أي العهدين، القديم والجديد).

يعكس الذهبي الفم هنا نظريّة «التيوريّا» الانطاكيّة. في أمكنة أخرى، هو يفسّر العلاقات بين معنَيي الكتاب المقدس بواسطة موازاة مستلّة من الفن: «فالنموذج (type)، طالما أن الحقيقة لم تأت، يقبل اسمها؛ ولكن عندما تصبح الحقيقة حاضرة، فلا يعود يحمل هذا الاسم. تماماً كما الرسم: يرسم فنان صورة الملك؛ وطالما أنه لم يضع عليها الألوان، فنحن لا ندعو هذا الرسم «الملك»، ولكن عندما يلوّنه، تطرح الحقيقة «النموذج» خارجاً في الظل، فيختفي. عندها نصرخ: «أنظروا، هذا هو الملك!» المعنى التاريخي هو الرسم، ولكن الصورة لا تصبح مكتملة الا بالمعنى النموذجي (typologique). لقد بلغ تأثير الذهبي الفم بالعمق حتى المفسّرين المتأخرين. تشكّل تفاسيره المصدر الجوهري لأكثر من سلسلة من المؤلفات اللاحقة. وقد أعجب توما الأكويني كثيراً بمؤلّف الذهبي الفم.

٧ – إيرونيموس

لقد انتشر هذا التأثير، ليس فقط على يد يوحنا الذهبي الفم، بل أيضاً على يد مفسّر أكثر علماً، هو ملفان الكنيسة الأكبر في عرض الكتب المقدسة، القديس ايرونيموس. لم يكن هذا الأخير ذا توجّه حرفي متطرف كما المبسوسطي، بل كان أقرب الى الذهبي الفم. في تفسيره، ابتعد ايرونيموس شيئاً فشيئاً عن النزعة الأليغوريّة التي كان معجباً بها أساساً، فبلغ به الأمر أنه شدّد على حقيقة روايات ونبوءات العهد القديم، وهذا موقف مبني، من جهة، على دراسة للنصوص[١٥]، وعلى معرفته المتنامية للتفسير اليهودي، ومن جهة ثانية، على مدرسة أنطاكيا التي كانت اهتماماتها تتوافق حصراً مع المواضيع التي كانت تشغله. يمكننا تقريباً القول ان مدرسة أنطاكيا هي مسؤولة عن نشوء الترجمة اللاتينيّة الشائعة (Vulgata). يجب، مع هذا، التذكير بأن تيودوروس المبسوسطي، كما أيضاً أغوسطينوس، يتأسف أن يرى إيرونيموس يبتعد عن

١١ – Vosté, *op. cit.*, 547.

١٢ – A. Vacacri, "La θεωρια nella scuola esegetica di Antiochia", *Biblica* I (1920) 14.

١٣ – Jean Chrysostome, *In Isa.* V, Migne, *PG* 56,60.

١٤ – A. Vaccari, "La θεωρια"..., 1ss; L. Pirot, *L'œuvre exégétique de Théodore de Mopsueste* (Rome, 1913) 177ss.

١٥ – K. K. Hully, "Principles of Textual Criticism Known to Jerome", *Harward Studies in Classical Philosophy* 55 (1944) 87ss.

نص السبعينيّة اليوناني الذي كان يعتبره ملهماً[١٦].

أول تفسير لايرونيموس كان أليغورياً بالتمام. مع هذا، فقد تأثر في أنطاكيا بالمنهجيّة الحرفيّة والتاريخيّة التي كان قد لقّنه ايّاها أبوليناريوس اللاذقي، وبقي لاحقاً غير مبالٍ باغراء المنهجيّة الأليغوريّة، حتى التي يُمثلها غريغوريوس النزينزي الأوريجانيّ المذهب الى حد كبير. حتى ولو كانت الأليغوريا حاذقة جداً، فان ايرونيموس كان يشدد دائماً على حقيقة المعنى الحرفي؛ كان على معنى الكتاب المقدس العميق أن يرتكز على هذا الأخير، بدلاً من أن يكون في مواجهته. كل ما يرد في الكتاب المقدس قد حصل بالفعل، وله بذات الوقت معنى أكثر من تاريخي. يجب أن يكون لنا فهم روحي (spiritualis intelligentia) للكتاب المقدس يتخطى «المعنى المادي» (carneus sensus)، لكن دون أن يكون على تعارض معه. هكذا انتقلت الحرفيّة الانطاكيّة على يد ايرونيموس الى الكنيسة، بمعنى ما بدرجة ثانية[١٧].

٨ – تأثير أنطاكيا المتواصل

أ– أدريانوس

ظهر تأثير مدرسة أنطاكيا بطريقة مباشرة من خلال مؤلَّفين للتفسير وَصَلا الينا، ويعكسان وجهة نظرها. الأقدم منهما هو **المقدمة للكتب الإلهيّة**، الذي حرّره أدريانوس، على الأرجح حوالي السنة ٤٢٥. انه الى حد كبير شرح لمعنى الصيغ العبريّة ولتركيب الجمل البيبلي. مثلاً يجب ألا نأخذ حرفياً الأنتروبومورفيات، بل أن نفهم أنها ترتبط بمختلف أوصاف الله. يُلاحظ أدريانوس في آخر مؤلَّفه أنه يوجد في الكتاب المقدس أسلوبان، الأوّل نبوي، والآخر تاريخي، ويجيب كل منهما على تصميم محدّد. في ما يتعلق بالتفسير، يجب أن يكون في الحالتين أوّلاً حرفياً. لكن المفسّر لا ينبغي أن يبقى على هذا المستوى، بل عليه أن يواصل السعي كي يبلغ فهماً أعمق مبنيّاً على المعنى الحرفي. ختاماً، يميّز أدريانوس بين الشعر والنثر، ويناقش باقتضاب مسألة الأوزان الشعريّة.

ب– يونيليوس الإفريقي (القرن السادس)

يرتكز يونيليوس الأفريقي على تعليم بولس الفارسي، متروبوليت نصيبين. كانت الكنيسة النسطوريّة في الرها قد حفظت تعليم تيودوروس، وعندما حرّر الأمبراطور زينون النسطوريّة في سنة ٤٨٩، انسحبت هذه الى نصيبين في بلاد فارس، وحفظت هناك منهجيات أنطاكيا التفسيريّة. يبيّن هذا الواقع أن تعليم تيودوروس جاء من الشرق، وانتشر كذلك في الغرب. من آراء يونيليوس :

- قيامة المسيح هي صورة مفرحة لمستقبلنا (كور ٣:٣)؛
- السقوط الحزين للشيطان هو صورة انحطاطنا الحزين (٢بط ٢:٤ي)؛
- العماد الفرح هو صورة الموت الحزين للرب (روم ٦:٣)...

في ما يلي اليك كيف يميّز يونيليوس بين النبوءة وبين النموذج : «في النبوءات، يعبّر عن الأحداث المستقبلة بكلمات (على قدر ما الكلمات هي قادرة على ذلك)، ولكن في «النماذج»، تُمثّل الأحداث بأحداث أخرى. يمكننا مع هذا أن نجمع هذين التحديدين في واحد ونقول ان النبوءة هي «نموذج» في كلمات. ومن ناحية ثانية، «النموذج» هو نبوءة صيغت بتعابير أحداث، على أنها معروفة هكذا. مع هذا، يذهب تفسير الكتاب المقدس الى أبعد من كل تحليل غراماتيكي، ويجب أن يُحدّد أكثر في العمق. هو يرتكز على المعاني التاريخيّة، ولكنه لا يقف عند هذا الحد.

لا ينبذ يونيليوس كيفما اتفق بعض كتب قانون الكتاب المقدس، لكنّه يميّز بين ثلاث فئات من الكتب : تلك التي ذات سلطان تام، وتلك التي ذات سلطان متوسط، وتلك التي ليس لها أي سلطان. تتضمن هذه الفئة الأخيرة المؤلفات المنحولة التي يرذلها الجميع. الفئة الثانية تتضمن الكتب التي كان تيودوروس يرذلها على نقيض الرأي العام، ووحدها الفئة الأولى التي لم يضعها تيودوروس موضع التساؤل تعتبر على أنها مرضيّة بالتمام.

١٠ – خاتمة

أثّرت منهجيّة أنطاكيا التفسيريّة المرتكزة على الحرف وعلى التاريخ الى حد كبير على الفكر المسيحي في القرون التي تلت. نجد انعكاساً لذلك في الاهتمام الذي كان للقرون الوسطى تجاه التفسير اليهودي وفي تفسير توما الأكويني. لقد كانت احدى أعمدة الحركة الاصلاحيّة. يمدح المفسرون المعاصرون جسارة تيودوروس؛ مع هذا فان هذا الأخير ليس «ناقدا» بالمعنى الذي أخذته الكلمة لدى بعض المؤرخين. يبقى أن منهجيته الحرفيّة والتاريخيّة قد انتهت بأن تنال اعتراف الكنيسة المسيحيّة!

١٦– Augustin, *Ep* 71, CSEI 34, 248ss; Pirot, *op. cit., 102.*

١٧– Voir Vaccari, "La θεωρια...